مفهوم الكتابة الأنثوية لدى نسويات ما بعد الحداثة الغربية وأثره في الخطاب النقدي العربي المعاصر

د. أمل محمد عبد الواحد الخياط التميمي

جامعة الملك سعود - الرياض

Abstract: An evident approach to distinguish between male writings and female writings has appeared in modern Arabic criticism, It tries to undermine women's writings by showing them inferior to those of men, without solid scientific foundations. This stance doesn't constitute an objective theory nor a neutral representation, based on linguistic and aesthetic justifications. Rather , It aims at undermining the traditional stance of Arabic society. This paper tries to determine the scope of this issue and look for its roots in the writings of Western modernist critics. In addition, it seeks to discover the influence of postmodern feminism on forming the concept of feminist writings in contemporary Arabic critical studies.

المقدمة: ظهرت دراسات عربية في النقد الأدبي العربي المعاصر تهتم بدراسة لغة خاصة بالمرأة الكاتبة، ولكن يلاحظ على هذا التوجه أنه يحاول هدم الخطاب التقليدي للمجتمع العربي، ومناقشة الوضعية الثقافية للمرأة العربية بالنظر إليها من خلال هيمنة الثقافة الذكورية عليها. هذا التكرار الثقافي والاجتماعي لوضعية المرأة العربية أقحم في الدراسات النقدية بوصفه خطاباً معلناً للتمييز بين كتابة المرأة وكتابة الرجل، وإسباغ صفة الدونية على كتابة المرأة دون مبررات علمية دقيقة، ولا تُشكّل تلك الدعوات نظريات أو

وصفاً محايداً ارتبط بالاتجاه اللغوي فقط، إنما تبلورت كمفهوم في الفصل بين كتابة المرأة وكتابة الرجل.

هذه الإشكالية، المتشكلة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، تحتاج إلى البحث عن جذورها، وأسبابها عند نقاد الحداثة الغربية، وبالأخص حينما نعلم أن عام (1969م) بداية الاهتمام بالكتابات التي تعالج المرأة وقضيتها في النقد الغربي، ونحن، نعتقد بالرأي الذي يتوجه إلى أن هذا النقد في العالم الغربي لا يتبع نظرية، أو إجرائية محددة، وإنما تتسم ممارسته بتعدد وجهات النظر، وتنوعها وأن أهم عامل في هذه الممارسة، يعتمد على الاختلاف الجنسي في إنتاج الأعمال الأدبية، وشكلها، ومحتواها، وتحليلها، وتقييمها. □

تهدف الدراسة، إلى التعرف على تأثير نسويات ما بعد الحداثة على صياغة مفهوم الكتابة الأنثوية في الدراسات النقدية المعاصرة، وهن: (هيلين سكيسو^{١٤} Helene Cixous و لوس إريغاري^{١٥} Luce Irigaray وجوليا كريستيفا^{١٦} Julia Kristeva) من خلال استقراء مفهوم الكتابة الأنثوية في مجموعة أعمال نقدية، وسنلقي الضوء على جهود ناقدتين عربيتين هما: سعاد المانع (1997م) ومقالتها بعنوان: "النقد الأدبي النسوي في الغرب وانعكاساته في النقد العربي المعاصر"، ونورة فرج المساعد (2000م) ومقالتها بعنوان: "النسوية: فكرها واتجاهاتها". كما نحاول الإجابة من خلالها عن عدة تساؤلات كمفهوم الكتابة الأنثوية في خطاب نسويات ما بعد الحداثة، وما مدى تأثيرهن في الخطاب النقدي العربي؟ وهل يعتمد نقد نسويات ما بعد الحداثة على مفاهيم نظرية، أم يعتمد على التقسيم البيولوجي للأدب؟ وما هي القراءات العربية التي أشارت إلى توجه نقد نسويات ما بعد الحداثة وما أكثر الانتقادات التي وُجّهت

لأصحاب هذا التوجه؟ وما هي الآثار السلبية في طرح مفهوم الكتابة الأنثوية في الخطاب الثقافي العربي؟

بحثنا في الأساس هو محاولة للكشف عن الخلفيات النظرية لمفهوم الكتابة الأنثوية *écriture feminine* في النقد النسوي بخاصة والنظرية النقدية المعاصرة بعامه. وسوف نتناول ما أثارته هؤلاء الناقداً من أصداء في الكتابات النقدية المعاصرة عند بعض النقاد الغربيين والعرب على السواء. وسوف نقوم بتحديد المنطلقات الأساسية لمفهوم الكتابة الأنثوية عند صاحباته، محاولين تبيين ما إذا كانت هذه المنطلقات يمكن أن تُشكّل في النهاية نظرية خاصة بالمفهوم، أم أنها تتوقف عند تحديد خصائص بعينها للكتابة الأنثوية في مقابل الكتابة الذكورية، كذلك ينبغي علينا أن نكشف إلى أي حد اعتمدت الناقدات السابقات على نظريات أخرى معاصرة، وإلى أي حد اعتمدن على تبصراتهن الخاصة في صياغة مفهوم، أو نظرية، أو خصائص الكتابة الأنثوية. وبطبيعة الحال تتصل الفكرة الأخيرة بتساؤل أشمل حول النقد النسوي المعاصر وهو: هل يمثل اتجاهاً نقدياً قائماً بذاته إلى جانب مدارس النقد الأدبي الحديث أم أنه توجه نسوي له تطلعاته الخاصة لتحرير المرأة ويعادي النقد السائد، مهاجماً ما يراه فيه من ثغرات نظراً لتأسيسه على يد نقاد ذكور منذ أفلاطون حتى وقت قريب؟.

تلك التساؤلات، انطلقنا منها لتبيين مفهوم الكتابة الأنثوية لدى نسويات ما بعد الحداثة، ومدى تأثيراتهن على الكتابات العربية، محاولة الإجابة عنها من خلال عدة محاور وهي على النحو الآتي:

- مفهوم 'الكتابة الأنثوية' في نقد نسويات ما بعد الحداثة.

- موقع النقد النسوي في النظرية النقدية المعاصرة.

– تأثير النُّقد النسوي الغربي في النُّقد العربي المعاصر.

أولاً: مفهوم 'الكتابة الأنثوية' في نقد نسويات ما بعد الحداثة

تتشرك باحثات نسويات ما بعد الحداثة مع منظري ما بعد الحداثة، من أمثال جاك لاقان J. Lacan وجاك دريدا J. Derrida، في الاعتماد على المنهج التفكيكي الذي يقوم على رفض مركزية الذكورة، وسيطرة العقل، والأسلوب الميتافيزيقي في الفلسفة الغربية، كما يقوم على هدم المفاهيم المرتبطة بالسلطة والهوية والذات. وقد تأثرت الحركة النُّقدية النسوية كذلك تأثراً عميقاً بالتحليل النفسي؛ حيث تهتم أصحابه من النساء اهتماماً شديداً بإعادة صياغة وتفسير نظريات فرويد عند لا كان؛ لذلك يشمل عملهن نقداً جوهرياً لتحليل كل من فرويد ولا كان اللذين يقيمان المرأة بمقاييس الرجال ويعدانها ناقصة بسبب تركيبها الفسيولوجية المختلفة عن تركيب الرجل.

لقد ارتبط اسم هيلين سيكسو بمصطلح الكتابة الأنثوية، وقد أصدرت في هذا السياق عدداً من الكتب النظرية، وتعد مقالتها "ضحكة ميدوزا"^س 'Le Rire d la Meduse' (1975م) وترجمت إلى الإنجليزية في 1976م. وتعد هذه المقالة بياناً احتفالياً بكتابة المرأة التي تدعو النساء إلى وضع أجسادهن في كتابتهن، كما يقول سلدن الذي يعلق في السياق نفسه بقوله: "في حين تحلّت فرجينيا وولف عن الصراع من أجل الحديث عن الجسد النسوي، تكتب سيكسو بانتشار عن مطاردة اللاشعور النسوي: "اكتبي ذاتك. ينبغي أن يسمع جسدك، وحينئذٍ فقط ستفيض المصادر الخبيئة للاشعور"^ش.

وترى باربرا جودارد أن التمييز بين كتابة سيكسو 'الإبداعية' و'النظرية' مسألة إشكالية في ضوء الإصرار على التداخل بين القراءة والكتابة عند سيكسو. فالانشغال بنص ما يورط المرء في عملية

الإبداع، إنه مواجهة مع الآخر والإبداع الذاتي وصولاً إلى 'ما وراء شعرياً' reaching a poetically beyond وهدف سيكسو هنا، مثل هدف دريدا، هو إخفاء الحدود، وإزالتها بين الأنواع وبين الموضوعات، ليس بدافع المنطلق إلى حدوده في الحركة الإثباتية (البرهانية) للفلسفة، ولكن بالاستجابة إلى دعوة الآخر، والاستكشاف الشعري لما هو في الما بين in-between بمعنى ما الأنا داخل الآخر—the one Within-the-other⁷.

وتشير جودارد كذلك إلى أن سيكسو، على العكس من سيمون دي بوفوار، تهدف ليس إلى تسامي الأنوثة والمساواة مع الرجل، بل إلى استكشاف إمكانات الاختلاف؛ ذلك أن الاهتمام الذي توليه سيكسو للآخر ينقض النموذج الهيجلي للذاتية، الرغبة، المعرفة، حيث تسود الذات الآخر. إن الكتابة دائماً كتابة 'من' وليس إلى نقطة التركيب المنطقي بين الفرضية و نقيضتها (synthesis) من شيء ما معطى من قبل الآخر، متحركاً بعيداً عن 'الموت، أمنا المزدوجة، عبر الكتابة بوصفها 'بحثاً'، في تمام قوة الحياة المخيفة على التجديد'. وهذه هي السمات التي تستجيب إليها سيكسو في النصوص التي تعجب بها وتقرأها 'نقدياً' في شكسبير، جويس، كافكا، وغيرهم. □

تولي سيكسو أهمية كبرى لتفكيك الميتافيزيقا الأبوية العقلانية، وتستعين بمفهوم الكتابة الأنثوية الذي تضعه في مواجهة الكتابة الذكورية؛ بهدف تدمير بنية الثنائية الضدية (رجل/ امرأة) حيث ينتصر دائماً العنصر الذكوري في النظام الأبوي، وينهزم العنصر الأنثوي. □ وترى سعاد المانع مشروع سيكسو النظري في معنى واحد: "يمكن تلخيصه على أنه مجهود تعطيل أيديولوجية التمرکز حول المنطق لتدعي أن المرأة هي مصدر الحياة والقوة والطاقة، مقدمة لغة أنثوية جديدة لا تكف عن هدم المخططات البنائية

البطرييركية حيث يتضافر التمرکز حول المنطق Logocentric مع التمرکز حول الذكورة phallogocentric في جهد يضطهد النساء ويصمتهن.^{لح} ولعل الإشكالية الأساسية التي توقف عندها دارسو سيكسو، تصورها للكتابة الأنثوية كونها؛ أي سيكسو، لا تؤمن لا بالنظرية ولا بتحليل النصوص، وهو ما يكشف عنه أسلوبها في الكتابة عموماً، على الرغم من أنها مارست الكتابة المنطقية وتحليل النصوص.^{□□} وهو ما يراه كذلك سلدن الذي يقول: إن جوهر نظرية سيكسو هو رفضها للنظرية؛ إذ ستتجاوز الكتابة النسوية دائماً الخطاب الذي ينظم النظام المتمركز حول الذكر - كما يذكر سلدن - كذلك أن منهج سيكسو رؤيوي، يتخيل لغة ممكنة أكثر مما يصف لغة موجودة. ويحمل المخاطر التي تحملها مناهج أخرى في دفع المرأة إلى استسلام لاشعوري غامض حيث يسود الصمت.^{بر} كذلك يلاحظ فرانتيشك أوندراش أن إدراك سيكسو للكتابة النسائية تعرض لنقد شديد؛ لأن الباحثة تدعو إلى تفسير [يعتمد على] الأصل البيولوجي، وترى أن أسلوب الكتابة النسائي يتطابق مع طريقة النساء في الكتابة.^{تر} ولكن سيكسو تعتقد كذلك أن هناك رجلاً داخله أنثى، والعكس صحيح كذلك. فهي ترى إن مصطلحي الذكورة والأنوثة أداة للتمييز بين منهجين مختلفين، وفي الوقت نفسه، تصر سيكسو على التفسير الثقافى للجنس من خلال ارتباط أعمالها بأصل السلوك الإنساني البيولوجي.^{بر}

ويقتبس أوندراش نصاً من كتاب سيكسو مع أو فن البراءة *(with) or The Art Of Innocence*، يجد فيه تفسيراً لمدى احتياج المرأة إلى الكتابة. والنص في غاية الأهمية؛ لأنه يكشف فعلاً عن 'فلسفة' سيكسو في الكتابة الأنثوية. تقول سيكسو (أو تكتب): "أحتاج إلى الكتابة، أحتاج إلى

الحياة المزدوجة، أحب الاستغراق في حياتي، أخشى أن تحتل الكتابة مكان حياتي، يجب أن أكتب الأفكار المقتبسة من الحياة وأنا محتفلة بالحياة. من المفروض أن تكون حياتي مصحوبة بالموسيقى، أتعطر بروائح شرقية مثيرة، فإنني معجبة بالخط العربي وجماله الرمزي.^{سم} ويقترب هذا النص من فكرة سيكسو عن أن الأحلام تستطيع كسر هياكل هشّة ندخل فيها حياتنا ويمكن الاعتماد على الأحلام بصفقتها مصدراً للكتابة.^{شم}

ولعلنا نلاحظ أن مفهوم الكتابة عند سيكسو مفهوم معقد، لا يقف عند حد ربطه بالأنوثة، بل يمتد إلى الكتابة الخطية العربية والهيروغليفية بوصفها فناً رمزياً، كما يمتد إلى علاقة الذات بالنصوص النقدية على المستويين: الرمزي، والروحي. وهكذا وجدت سيكسو هذه الأداة، كما يقول أوندراش، في مفتاح الحياة 'عنخ' 'Ankh' الذي تعدّه مصدراً للحياة، أي قوة رمزية جوهرها العلامة الهيروغليفية؛ العلامة التي ترمز إلى الحياة الخالدة، وتكمن دلالتها الأصلية في وحدة المعاناة والقيامة والخلود. وهكذا نرى مع أوندراش أن مفتاح الحياة المصري أسهم في تكوين الرصيد العلاماتي الحضاري لسيكسو.^{هـ}

وأشارت نورة المساعد إلى أن معظم النقاد الذي يوجه إلى نسويات ما بعد الحداثة، ومنهن سيكسو، يقوم على الصورة النمطية التي يحملها كثير من الأكاديميين القاطنين في أبراج عاجية، بمعنى أن المنتقدين لنسويات ما بعد الحداثة يرون أن هؤلاء النسويات ينشغلن بمناقشة أفكار أقل ما يمكن أن يقال عنها إنها أفكار الصفوة، تلك الطبقة التي انسحبت من الجهاد والاعتراض إلى جنة فلسفية محاطة بأصدقاء يشتركون معهم في حمل أفكار واحدة. فنسويات ما بعد الحداثة يستخدمن لغة و'أفكاراً' بشكل يمنع الآخرين من فهم الكيفية التي يعملن بها. ومن ثم ومع الوقت يصبح ما ينادين به بعيداً عن وضع

معظم النساء. وتستطرد المساعد إلى ذكر ما انتقدت به نسويات ما بعد الحداثة لمحاولتهن وضع المرأة في مكانة أعلى من الرجل، والأنوثة في مكانة أعلى من الذكورة، وما انتقدت به كتابات إيغاري وسيكسو لمحاولتهما خلق لغة أنثوية ومجتمع أنثوي خارج عن لغة ذكورية ومجتمع ذكوري، مما سوف يؤدي إلى خلق ازدواجية فاشية في اتجاهها سواء من ناحية الرجل أو المرأة، مما سوف يؤدي إلى وجود حالة كاملة من التشويش بسبب هذه الافتراضات لنسويات ما بعد الحداثة التي تتطوي، في الوقت نفسه، على خوف النساء من عدم اتحادهن في جماعة واحدة ذات مصالح واحدة. □□

ولكننا، من ناحية أخرى، نستطيع أن نلاحظ، من خلال طرح سعاد المانع، بعض الأشياء المهمة مقارنة بما نقلناه عن نورة المساعد في سياق الكتابة الأنثوية. فمع تسليم سيكسو بوجود التمرکز حول المنطق، وتضافره مع التمرکز حول الذكورة في جهد يضطهد النساء، ويصمتهن، كما ذكرنا أعلاه، فإن وصف سيكسو: "وما تصف به الكتابة الأنثوية هو أنها تعليقات عفوية تتحول لتكون دعاء غنائياً من الرابطة الجوهريّة بين الكتابة الأنثوية والأم، الصوت الذي يسمع في كل نصوص الأنثى [...] ومع ذلك] تتكر إمكانية تعريف الممارسة النسوية للكتابة. وهي ترى أن غريزة المرأة الجنسية Her libido كونية مثلما أن اللاوعي لديها واسع سعة العالم فكتابته تستمر دون نعت أو تعين حدود." □□ وتشير المانع، نقلاً عن توريل موي، أن سيكسو في دعواها حول الكتابة الأنثوية لا تشترط تطابق الكتابة مع جنس الكاتب/الكاتبة، فهي تؤمن بشائية للجنس كامنة في طبيعة كل البشر. وترى أن معظم النساء يكتبن كتابة غيرهن -كتابة الرجل. وهن بسذاجتهن عززن كتابة الذكورة. لـح^{١٠} وإذن فالنقد الذي نقلناه عن نورة المساعد لا يؤدي إلى خلق ازدواجية بين الرجل

والمرأة؛ لأنها من وجهة نظر سيكسو، ازدواجية كامنة في طبيعة البشر، وتأتي النساء، "بسذاجتهن"، لتعزيز وضع موجود، لسن مسؤولات عنه.

وربما أمكننا أن نحل هذا 'التناقض' في النظر إلى الانتقادات الموجهة إلى سيكسو بالعودة مرة أخرى إلى مقالة باربرا جودارد، فهي تشير إلى 'تناقض' حاد في رد الفعل تجاه أعمال سيكسو. فمن ناحية، هناك نقاد، معظمهم خارج فرنسا، تعاطفوا مع طريقة سيكسو في قراءة النصوص. وهكذا كان تأثيرها في كوبيك (كندا) كبيراً على جيل كامل أثناء تدريسها في جامعة مونتريال في أوائل السبعينات، أما خصوم سيكسو، وخصوصاً في فرنسا، فقد عبروا عن آرائهم بقوة مماثلة لقوة التعاطف معها خارج فرنسا، وقد حدث هذا في الصراع داخل الحركة النسائية الذي جمع بين سيكسو، وإريغاري، وكريستيفا وآخرين كانوا يعملون عبر التحليل النفسي بوصفه 'نسوية ثقافية' 'cultural feminism'، نسوية 'الاختلاف'. وقد وقع بعض النقاد الماديين، مثل ليسلي رابين على تناقض آخر في عمل سيكسو بين الكتابي writerly والاجتماعي social. وأخيراً تقول جودارد إن الرفض الإنجليزي - الأمريكي لمقولات الحركة النسوية الفرنسية كان له تأثير بالغ، حتى أن أحد النقاد يشير إلى 'أفول الكتابة الأنثوية عند سيكسو'، مستخدماً إياها كمثال توضيحي ل"تأكيد صعوبات... قراءة تعارضية للثقافة"، واستحالة (إمكانية) نقد الممارسات الثقافية من أجل تغيير النظام السائد. □ بر

ومثل سيكسو لم تسلم إريغاري من "انتقادات عديدة، وجهت إليها حول فكرتها عن أسلوب المرأة ولغتها التي جعلها ترتبط بالجسد الأنثوي ارتباطاً مباشراً، وتبتعد تماماً عن روابط المنطق والعقل؛ فهي لا تترك للأنثى في لغتها غير الجسد، ولعل أطرف ما وصفتها به [مونيك] بلازا من أنها 'ذئب بطريريكي في

ثياب حمل".^{٢٢} كذلك أشار أوندراش أن ما تواجه إيغاري من "نقد؛ لأن آراءها تتضمن خطورة معالجة الجسد الأنثوي وتركيبته وبنيته بطريقة مثالية".^{٢٣} وثمة نقطة تاريخية مهمة جديدة بالذكر في تصور إيغاري لكتابة المرأة، تتمثل فيما أوردته المانع من إشارة إيغاري إلى تفوق المرأة على الرجل في الكتابة الصوفية، رابطة هذا التفوق بفقد الذات عند المرأة. فإذا كانت التجربة الصوفية تقوم على فقد الذات وفنائها في الذات الإلهية، أي اختفاء التقابل بين الذات والموضوع، فلا شك أنها كانت تجربة ذات إغراء خاص للمرأة التي أنكرت عليها ذاتها وقمعت في الخطاب الأبوي، ومع قلة النساء المتصوفات في التاريخ فإن الصوفية شكلت منطقة ذات مسعى روحي عال تحت الهيمنة البطريركية؛ حيث استطاعت النساء فيها أن تتميز غالباً على نحو يفوق الرجال، فالخطاب الصوفي إذن هو الموضوع الوحيد في التاريخ الغربي الذي تتكلم فيه النساء وتتصرف بطريقة علنية.^{٢٤}

وترى المانع أن تحليل إيغاري للأنثوية قريباً تماماً من فكرتها عن لغة المرأة الخاصة التي تدعوها 'المرأة تتكلم' حيث ينبثق كلام المرأة عفويًا حين تتحدث النساء معاً، لكنه يختفي بمجرد وجود الرجال. وهي تعرف أسلوب النساء بارتباطه الحميم بالتدفق واللمس. وهي تربط لغة المرأة بالجسد الأنثوي وباللذة الجسدية.^{٢٥}

ويورد أوندراش رأي إيغاري في "أن الرجل يعد شيئاً واحداً؛ ذا هوية؛ اسماً للعلم؛ فرداً؛ سلطة مستقلة. أما المرأة فتتلخص ذاتها في أعضائها الجنسية المتوعدة. تتمتع المرأة إذن بهوية مزدوجة؛ وهو الأمر الذي يظهر أثره في كلام المرأة متعدد الأصوات وفي ذواتها وهوياتها المتعددة."^{٢٦}

وتشير جودارد إلى بحث إيغاري عن أشكال اجتماعية - رمزية لبناء سلسلة نسب genealogy أنثوية. وفي مقالات لإيغاري، مثل "نساء مقدسات" Divine Women (1985)، تناقش إيغاري ضرورة وجود بُعدٍ روحي ومقدس من أجل موروث أمومي بوصفه أفقاً ممكناً، ومن الأشكال الأخرى الممكنة كذلك تكون اللغة. وبداية من كتابها بعنوان *اللغة لم تكن أبداً محاسدةً parler n est jamais neutre* (1985)، عادت إيغاري إلى مسائل بحثها المبكر في علم اللغة النفسي، وذلك كي تحدد صعوبات وضرورة أن تمثل النساء أنفسهن في اللغة بوصفهن ذوات فاعلة. ^{٣٦}

لاحظنا كيف تعرضت آراء كل من سيسكو وإيغاري إلى انتقادات حول مفهوم الكتابة الأنثوية، فهل واجهت آراء كريستيفا انتقادات كسابقتها؟، تذكر سعاد المانع، نقلاً عن موي، أن كريستيفا ليس لها نظرية عن التأنيث في اللغة، ولا عن الأنثوية، فهي لم تنص تماماً على وجود لغة خاصة بالمرأة الكاتبة، لكنها نصت على وجود لغة متميزة تخص الأدب. ^{٣٧} ومع ذلك يمكن أن نتلمس علاقة كريستيفا بالكتابة الأنثوية من عدة جهات. أما الجهة الأولى، فتأتي من إجماع الباحثين على وضع كريستيفا مع سيسكو وإيغاري في الاهتمام بلغة المرأة من داخل انتمائهن للنقد الأدبي النسوي الفرنسي، وخصوصاً من المساهمات في النقد ما بعد البنيوي في الاتجاه اللغوي، والاتجاه النفسي التحليلي. ^{٣٨} وتشير المانع إلى ما يثبتته بعض الباحثين، وخصوصاً باربارا جونسون، من أن العلاقة بين النوع، أو الهوية الجنسية Gender واللغة يسم مقاربات أولئك الناقداً الثلاث؛ حيث يتبنين مقولة مفادها، أن الفرق في الهوية يستقر في اللغة أكثر مما هو في المدلول، وأنه لا يوجد شيء طبيعي حول الهوية الجنسية نفسها. ^{٣٩} ومن جهة أخرى، تشير المانع إلى نظرية كريستيفا في

الهامشية والفرعية والانشقاق، وهي نظرية عامة تنطبق على الرجال والنساء على السواء من حيث تصبح ممارسات بعينها للكتابة، عند شعراء ذكور (ولاشيء يمنع أن يكونوا نساء في حالات أخرى)، ثورية ومماثلة للتحويلات السياسية والجنسية، مما يشهد على إمكانية تحول النظام الرمزي للمجتمع الثابت/المحافظ من الداخل.

ولكن بربط تلك النظرية بمفهوم كريستيفا للعلامات تتضح صلتها بالكتابة الأنثوية. فكريستيفا تقيم تشابهاً بين النساء والعلامات، فالنساء هامشيات بالنسبة للهوية الأبوية، وكذلك العلامات هامشية بالنسبة للغة. وهذا يعني ما ذكرناه عن الوضعية الثقافية للمرأة والرجل، فتعريف النساء بالهامشية يتصل بموقعهن وليس بجوهرن. ومفهوم كريستيفا للعلامات تستعمله بمعنى منطقي طبيعي ليعين الحوافز النفسية التي تشوش النظام المقام اجتماعياً عن المعنى والاتصال المتماusk. [□] تر وهذا المعنى هو ما يمكن لنا أن نلمحه في بعض خصائص الكتابة الأنثوية عند سيكسو وإريغاري، ومما تكرر في الدراسات النقدية المعاصرة.

وقد عالج أوندراس علاقة كريستيفا بالكتابة من خلال فكرة الذات النسائية الرمزية وخلفيتها. وفي هذا الصدد يعود إلى فكرة كريستيفا المتمثلة في أن اللغة التي تتحول إلى نظام الرموز، وتصبح فضاء للعلامات الدالة، تجعل الخيال بعرض ما اختفى من اللغة، وهو تعدد الغرائز وتوعها. وهو يلاحظ كذلك أن مفاهيم كريستيفا في اللغة والعلامات لا تحتوي على أسلوب أنثوي خاص في الكتابة، ويرجع هذا إلى عدم وجود 'فضاء آخر'، تتحدث في الأنثى. برتر

وثمة إشارات هنا وهناك عن اللغة والكتابة في سياق المرأة عند كريستيفا، ومن هذه إشارة ما كانس إلى أحد أعمال كريستيفا بعنوان *حكايات حب Tales of Love* (بالفرنسية 1983م، وبالإنجليزية 1987م) حيث تفحص كريستيفا أساطير الحب لكي تسبر دلالة التحول إلى النموذجية (في هذه الأساطير)؛ وذلك لتحقيق الاستقلال للذات في اللغة، مع إعطاء أهمية خاصة مرة أخرى إلى معنى 'امرأة'. تتر

يذكر أوندراش أن كريستيفا لا تتعرض في دراستها لخطورة تفسير [كتابة] المرأة طبقاً لأصلها البيولوجي، ولكن أعمالها تسفر، كما هو الحال عند سيكسو وإريغاري، عن العلاقة الوثيقة بين الفاعل والمنطق واللغة. وفي حين كان منطلق الباحثين المذكورتين سابقاً، ينبع من اختلاف المرأة في لغتها التي تتميز بالعلامات، والإشارات المتغيرة، والمناهج المجازية، وعمليات خلق المغزى المتنوعة، كانت اللغة في مفهوم كريستيفا تتصف دائماً بالمستويين الرمزي والعلاماتي، وترى أنه داخل اللغة يقع رصيد ضخم (وليس خارجها كما تقول إريغاري) يهدد منطق الهوية اللغوي، وهذا راجع إلى تداخل المجالين العلاماتي والرمزي. يتر

ونحن نوافق المانع في نتيجتها المهمة عن لغة المرأة؛ حيث ترى، أن النقاد النسوي ما زال في مرحلة عدم استقرار، أما بالنسبة إلى لغة المرأة فتبدو المسألة كذلك في مرحلة التجربة، والشطحات منه إلى النظرية الثابتة، وتورد المانع عن فليسكي خلاصة لتحليل الآراء التي دارت حول كتابة المرأة، وأهم نقطة فيها أنها ولدت وعياً جديداً بالطرق التي من خلالها تأثر الحكم الأدبي على كتابة النساء، بافتراض هيمنة الثقافة الذكورية عليها، وبالإضافة إلى ذلك، ثمة كثير من التصورات التي ترى أن الكتابة الأنثوية، تعكس الطبيعة الداخلية

للمرأة؛ مما يعني إنكاراً لقدرة النساء الكاتبات على اختراع وإع وتتنظيم فني، وهو إنكار ساعدت على ترسيخه بعض صاحبات النقد النسوي عندما افترضن أن النساء يكتبن بالضرورة بطريقة أكثر عفوية وحدسية، ويمكن أن تبعدهن عن إدراك أهمية تأثير الوعي التاريخي في أساليب الكتابة الأدبية، كما يمكن أن تبعدهن عن إدراك قيمة نصوص النساء التي تقوم على بنية دقيقة، ومهارة بالغة. وبالإضافة إلى ذلك، ثمة ناقداً نسويات كثيرات يرون أنه من المستحيل التمييز بصورة موثوق بها بين اللغة وأسلوب الكتابة، وأصحابها حين يكون الحكم عليها صادراً دون معرفة جنس المؤلف.^{سم تر}

وتتصل الملاحظة الأخيرة، من زاوية افتراض معرفة جنس الكاتب، بقول فليسكي إن السمات الموجودة في الكتابة الأنثوية الفرنسية، مثل اللعب اللغوي والنحو غير المستقيم ليست فريدة بأي معنى، أو خصيصة بالمرأة وحدها أكثر من كونها إشارة إلى تحول ثقافي عام، يبتعد عن الأنماط التحليلية والممتدة، ويتجه نحو ضبابية في التمييز بين الأدب والنظرية، وهذا ما يلاحظ في مجموعة من الخطابات المعاصرة النقدية وما وراء النقدية، وخصوصاً تلك المتأثرة بآراء لاكان ودريدا. فجدور هذه الأشكال من الكتابة كامنة في التجارب اللغوية في أدب الحداثة، وغالباً ما تفشل الداعيات إلى الكتابة الأنثوية في تنظير هذا البعد السياقي الحازم والتناصي في كتابة النساء الغربيات، ومن ثم يظهر لنا أن السمات المعينة الجنسية في الكتابة النسوية الفرنسية في الوقت القريب، يمكن البحث عنها في مضمونها الخاص، وفي تمثيلها الجسد الأنثوي، أو في الفحوصات القريبة لعلاقة الأم - البنت مثلاً أخرى من أن يبحث فيها عن أية سمات أسلوبية يمكن تعيينها على أنها أنثوية متفردة.^{سم تر}

ثانياً: موقع النُّقد النسوي في النظرية لنقدية المعاصرة

تشير المانع إلى أن المتتبع لـ 'النُّقد الأدبي النسوي' في الغرب يجد أن له مواقف متعددة، وأن له اتجاهات مختلفة، وأنه لا يمكن تعريفه على أنه شيء موحد متجانس.¹³ وقد حصرت المانع في السياق نفسه تلك الاتجاهات المختلفة في أربعة: اثنان منها ينسبان إلى مكان نشأتهما؛ أي النُّقد النسوي الإنجليزي - الأمريكي، و النُّقد النسوي الفرنسي، واثنان يعتمدان على مدارس فكرية بعينها؛ أي النُّقد النسوي الذي يعتمد التحليل النفسي، والنُّقد النسوي الماركسي الاجتماعي. وتعلق المانع على هذه التقسيمات بأنها غير شاملة، ولا دقيقة، ومتداخلة في الأسماء والاتجاهات، كما تحرص على تأكيد وعي النُّقد النسوي بأن التقسيم على أساس البلد لا يعني الارتباط به بقدر ما يعني اختلاف المقاربات النُّقدية.¹⁴

وتعطي المانع تقسيماً ثنائياً آخر للنقد النسوي، من وجهة نظر الناقدة الأمريكية، إلين شولتر Elaine Showalter ومن الواضح أن المانع ترتضي هذا التقسيم مقارنة بالتقسيم الرباعي السابق. ويقوم النُّقد النسوي عند شولتر على جانبين: أحدهما قراءة المرأة الأدبية السابقة والمعاصرة وتحليلها، من وجهة نظر المرأة القارئة، وهي تسمى هذا الشكل من القراءة (النُّقد النسوي) Feminist critique، والآخر نقد الكتابات الأدبية للمرأة من قبل المرأة أيضاً، وهي تطلق عليه (نقد الأدب الأنثوي) Gynoritics.¹⁵

والنمط الأخير، يهتم بالمرأة بصفتها كاتبة ومنتجة للمعنى، كما يهتم بتاريخ المرأة، وموضوعاتها، وأنواعها، وأبنيتهما الأدبية، وكذلك يتناول الدينامكية النفسية للإبداع الأنثوي، ومشكلة لغة الأنثى، ومسار حرفتها الأدبية، بالإضافة إلى الاهتمام بكاتبات معينات، ودراسة تاريخهن ومؤلفاتهن.

وعلى الرغم، مما وجه إلى تقسيم شولتر هذا من انتقادات؛ لأنه يختزل كثيراً من الفعاليات النقدية التي يضطلع بها النقد النسوي، وأنه يغفل إيجاد نظرية نقدية نسوية، وخصوصاً في نمطه الأخير، فإنه ظل معتمداً عند كثير من الباحثين.^{١٤} ويقوم هذا التقسيم على ثلاثة جوانب هي: (التحيز ضد المرأة في الأدب، دراسة كتابة المرأة، لغة المرأة).

وتذهب نورة المساعد بالرأي، مثلما فعلت سعاد المانع، إلى عدم وجود تعريف أو مفهوم واحد للنسوية، وأنها "مثل أي نظرية فلسفية عريضة الأسس يصعب تحديدها، ولكن من اتجاهاتها ما يمكن التعرف عليه؛ كالاتجاه الليبرالي، والماركسي المتطرف، والسيكولوجي/التحليلي النفسي، والوجودي، وما بعد الحداثة. جميع هذه الاتجاهات تقدم بعض الإجابات عن التساؤلات حول النساء."^{١٥} أما فرانتيشك أوندارش، فيذكر أن النقد الأدبي النسائي، يبحث في طريقة تعامل النصوص الأدبية (السردية) مع الهويات الجنسية gender والاختلافات الجنسية sexual، كما يذكر أن الأبحاث النسائية تنقسم إلى ثلاثة تيارات رئيسية هي: (الدراسات النسائية، النقد الأدبي النسائي، الدراسات النسائية التفكيكية).

وعلى الرغم من تسليمه كذلك، مثل المانع والمساعد، بتعدد وتداخل هذه التيارات وتكاملها في الوقت نفسه، فإننا نرى أن التيارين الأخيرين قد ساعدا على ظهور الإشكاليات النظرية في قراءة نص المرأة، وإسقاط القراءة الأيديولوجية لأدب المرأة، حيث كان التيار الثاني يهتم بدراسة منهج الكتابة النسائية في مقابل منهج الرجال السردية موضوعاً وبنية وأسلوباً. أما التيار الثالث فنلاحظ عليه أنه هو نفسه ما قصدته المساعد بنسويات ما بعد الحداثة؛ حيث أسهمت التفكيكية إسهاماً كبيراً في وضع المناهج والتوجهات التي

تستخدمها الناقدات، والباحثات النسائيات لدراسة نصوص الكاتبات المعاصرات السردية، وتأويلها طبقاً للمنطلقات الفكرية الحديثة. والمهم، من كل ما عرضناه، حتى الآن عن النقد النسوي، هو أنه محور جدل بين الدارسين، أما النقطة التي نعتبرها حجر الأساس الذي نبني عليه ملاحظتنا النهائية، فهي: لا يمثل منطلق نظري منهجي قائم على دراسة نص المرأة بوصفه وثائق، وإنما بوصفه رؤى وتوجهات تعكس الهم الاجتماعي للمرأة، مركزا اهتماماته على الكتابة الأنثوية سواء أطلق عليه "لغة المرأة"، أو "نسويات ما بعد الحداثة"، أو "الدراسات النسائية التفكيكية"، وخصوصاً من خلال أبرز الناقدات النسائيات اللاتي يمثلنه، وهن: سيكسو، وإريغاري، وكريستيفا. والجدير بالذكر، أنه أطلق على كل نسويات ما بعد الحداثة حتى وقت قريب، النسويات الفرنسية، وذلك؛ لأن معظم النساء اللواتي ارتبط هذا الاتجاه بأسماهن كن إما فرنسيات، أو مقيمات في فرنسا. ولكن ماذا عن وضع النقد النسوي في الدراسات العربية؟ هذا ما سوف نبينه في الفقرة التالية.

ثالثاً: تأثير النقد النسوي الغربي في النقد العربي المعاصر

ظهر مؤخراً دراسات عربية تبحث في طبيعة النص الذي تكتبه أنثى، وكذلك تبحث في طبيعة الفوارق بين كتابة المرأة وكتابة الرجل، وعلاقة اللغة بالجنوسة، نذكر من تلك الدراسات على سبيل المثال: عاطفة الاختلاف: قراءة في كتابات نسوية لشرين أبو النجا (1998م)، ودراسة نص المرأة لعالي القرشي (وفي أدب المرأة لسيد قطب 2000م)، وعبد المعطي صالح وعيسى سليم (2000م)، وقراءة في الكتابة الأنثوية لعبد الرحمن أبو عوف (2001م)، واللغة والمرأة لعبد الله الغدامي، ط3 (2003م)، وعلاقة اللغة بالجنوسة لعبد النور

خرايفي (2013م). وحاول كل باحث من هؤلاء الباحثين تقديم تحليلات وتفسيرات بشأن الأسباب التي ولّدت الاختلاف بين نص المرأة والرجل. ولقد ألفت بعض الدراسات الغربية، والمترجمات بظلال الأفكار النسوية الغربية على الدراسات العربية، وحاولت بعض الدراسات، قراءة وتحليل الكتابات الأنثوية العربية بوصفها كتابات مليئة بالقلق، ورفض القمع، ومقاومة الرجل، وقامت بتصنيف الكتابة بوصفها كتابة نسائية ورجالية، وخاضت هذه الدراسات جدل التقسيم من خلال قراءة أعمال مبدعات عربيات من مثل أعمال: ثريا العريض، رجاء عالم، سلوى بكر، ميرال الطحاوي، وليلى الشربيني، واعتدال عثمان، فوزية رشيد، فوزية مهران، غادة السمان، سحر خليفة، رضوى عاشور، منى حلمي، نورا أمين، بهيجة حسين، مي التلمساني، ومعظم تلك الدراسات اهتمت بالبحث عن وجود المرأة في نصها من واقع الاختلاف البيولوجي، واهتمت بالنصوص السردية أكثر من النص الشعري، وارتبط الاهتمام في إبراز أسرار المرأة من خلال نصها وارتباطها بوضعها الاجتماعي، ومن ثم نشطت دراسات تبرز علاقة التّقد النسوي بالمجتمع العربي والحركة النسوية فيه. ولمعت أسماء نقدية تهتم بالحركة النسائية العربية، وأخرى تهتم بالتّقد النسوي من مثل سعاد المانع، ونورة المساعد. وحاولت بعض الدراسات تسليط الضوء على الحركة النسائية العربية في تحليلها لبعض الكتابات النسائية كما فعلت فدوى ملتي دوجلاس Fedwa Malti Douglas في دراستها نوال السعداوي ومنظومة الحركة النسائية العربية (رجال ونساء وآلهة) ^{١٠٠}.

لقد تشكّلت آراء متعددة حول مشروع النسوية في العالم العربي، فهناك من يرى أن مشروع النسوية في الشرق قد تمّ تشويبه بسبب اختلاف ظروفها عن

النسوية الغربية، وعليه فإنه نادراً ماسياًتي مشروع النسوية الشرقي، بأية قابلية للتححر الشخصي كالذي يحدث في الغرب. وتشير نورة المساعد إلى أن اضطهاد النساء في العالم الثالث لا يعود إلى التقسيم الجنسي والطبقي فحسب، بل إلى العرقية والإمبريالية، وما تركه الاستعمار في بلاد العالم الثالث، من آثار على البلاد التي كانت مستعمرة. ^{تريبر}

أما سعاد المانع فقد لاحظت صدى النقد النسوي في الغرب على الكتابات العربية، وقد رصدت المانع في هذه الكتابات انعكاس النقد النسوي الغربي، وتوضّح أثر مقولات النقد الأدبي النسوي الغربي في كتاباتنا العربية المعاصرة بين التطبيق المباشر لمقولة أو أكثر، أو التبني لبعضها، أو مجرد استلهاها، مع تباين في موقف أصحاب تلك الكتابات بين الاعتدال في التطبيق، أو إثبات انطباقها على الحالة العربية ولو بشكل محتمل. أما من تبني المقولات الغربية في موضوع الكتابة الأنثوية فتلاحظ المانع نوعين من التبني: الأول: لم يغفل أصحابه دور العقل في هذه 'الكتابة الأنثوية' وهذا ما نجده مثلاً في تحليل الغدامي لرواية مستغانمي. والنوع الآخر: نظر إلى 'الكتابة الأنثوية' على أنها تتبثق من الاندفاع والتلقائية وتخرج عن المنطق والعقل. وهو ما تراه المانع بحق غريباً لأنه تبني تام دونما نقاش، الأمر الذي يعيد إلى الأذهان نظرة بالغة التحيز ضد المرأة، ترى المنطق والعقل من نصيب الرجل، والاندفاع من نصيب المرأة. وتشير المانع إلى أن هبة شريف هي الكاتبة الوحيدة التي توقفت عند آراء الناقدات النسويات الغربيات، وناقشتها، ولم تتبناها دون جدال، على نحو ما فعلت في تعليقها على آراء سيكسو في علاقة المرأة بجسدها وتجليات هذه العلاقة في اللغة التي تستخدمها لفرض رؤية جديدة.

لاحظنا اعتماد النُّقد النسوي العربي على الأصل الغربي في غالب الأحيان، ماعدا حالات قليلة جداً، ولم تخلُ أيضاً معظم الكتابات بالإنجليزية من هذا الاعتماد، كما ذكرنا سابقاً دراسة السعداوي، بالإضافة إلى كتاب فدوى مالتى دوجلاس بعنوان **جسد المرأة، كلمة المرأة: الجنوسة والخطاب في الكتابة العربية – الإسلامية (1991)**، ^{يريد}

الخاتمة: لاحظنا تبلور مفهوم الكتابة الأنثوية في الدراسات النقدية العربية بتأثره بمنظري ما بعد الحداثة، ومن المعروف أن الاهتمام بالكتابة الأنثوية نشأ وتطور في الغرب من واقع الاهتمام بدعوة تحرير المرأة من النظام الأبوي البيطريكي، ونلاحظ تأثر حركة النُّقد النسوي العربي ببعض التقاليد الفلسفية في الغرب التي تحمل كراهية للمرأة، وأنتجت مثل هذه الحركات أو التوجهات أفكاراً من مثل: التحيز ضد المرأة، أو تحيز اللغة ضد المرأة، أو تبني دعوى وجود كتابة أنثوية وكتابة ذكورية مصدرها الاختلاف الجسدي بين المرأة والرجل، والكتابة الأنثوية من وجهة نظر هذا التقسيم تخرج عن المنطق والعقل وترتبط بالجسد.

وتقسيم الكتابة إلى مفاهيم كتابة نسوية وذكورية خلق إشكاليات، وفي ظني الإشكاليات تتعلق بجانبين جانب تنظيري وجانب تطبيقي، وفي كلا الجانبين الإشكالية الأساسية تكمن في اعتماد أغلب آراء النقد النسوي على صياغة مفهوم عن الكتابة الأنثوية على آراء نسويات ما بعد الحداثة، والإشكالية الكبرى تكمن في الربط بين الكتابة والأصل البيولوجي في الكتابة، وغالباً نتائج هذه الدراسات لم تركز على أدب المرأة أو النتاج الأدبي، نذكر على سبيل التمثيل قول الغدامي: "...هذا العمل ليس بحثاً في أدب المرأة وليس دراسة فنية جمالية، ولكنه بحث وسؤال عن المنعطفات والتمفصلات

الجوهرية في علاقة المرأة مع اللغة وتحولها من (موضوع) لغوي إلى (ذات) فاعلة، تعرف كيف تقصص عن نفسها...^{٢٢} ثم يقرر نتيجة وهي: "غياب الأنوثة التام عن التاريخ لأنها غابت عن اللغة وعن كتابة الثقافة، وتفردت الفحولة باللغة فجاء الزمن مكتوباً ومسجلاً بالقلم المذكر".

للأسف مثل هذه النتائج تأخذ مساحات كبيرة في الدراسات النقدية العربية، وتحتاج مثل هذه النتائج إلى سد الثغرات؛ لأن معظم الدراسات النقدية التي اهتمت بالكتابة الأنثوية لم توظف اللغة الأدبية للمرأة، وركزت على الأوضاع الاجتماعية للمرأة والثقافية المنتجة لها، ومعظم تلك النتائج مبنية على التأويل، أو التكرار، وليس هناك جديد في نتائج الدراسات أو روح مختلفة في المعالجة.

إننا نميل إلى الدراسات التي تقر بوجود فوارق لغوية بين النساء والرجال، أو الدراسات التي تبحث في الخطاب الخاص للمرأة من الناحية الأسلوبية^{٢٣}، أو في تغليب المذكر على المؤنث في الخطاب القرآني،^{٢٤} ولكننا لا نميل إلى الدراسات التي تقسم النقد بحسب التقسيم البيولوجي ويميز كتابة المرأة بمررات غير علمية ويصفها بالدونية رابطاً بين الأوضاع الاجتماعية وكتابات المرأة، ويترتب على مثل هذه التوجهات أن ينقسم الأدب إلى كتابة أنثوية وكتابة رجالية، إن النقد النسوي الذي يسير على هذا التوجه هو توجه اجتماعي أكثر منه نقداً له معايير وأسسه التي يعتد بها في النظرية الأدبية.

إن الإشكالية في طرح نسويات ما بعد الحداثة تكمن في (فكرة التقسيم) للنقد؛ إذ هناك فعلاً من ينساق وراء فكرة التقسيم النقدي على أساس الاختلاف البيولوجي، وهذا يدفعنا إلى تقصي المفاهيم والقضايا التي يطرحها، فحينما نقبل بهذا الطرح، وتقسيم النقد إلى نقد نسائي، فيفترض

هناك قسم آخر، وهو نقد رجالي، ويعني هذا أن لكل قسم أدوات، والأدوات تعني طرح ما مفهوم النقد النسائي؟ وما حكمنا على هذا التعريف؟ وفي المقابل لابد من تعريف النقد الرجالي، وهذه الافتراضات لابد منها، حتى ن فكر بطريقة صحيحة، وننتهي بحكم صحيح أيضاً، فإن المصطلحات التي نتعامل معها يمكن أن تخلق إشكالات، فماذا عن الأحكام النقدية للنقد النسائي؟ وهل هي تختلف عن الأحكام النقدية الرجالية؟ وما الأحكام المشتركة التي يشترك فيها النوعين؟، وبهذا نشق صف النقد، وبهذا نتحول من دراسة الأدب إلى تقسيم النقد.

وفي ظني أن طرح مفهوم الكتابة الأنثوية في الدراسات النقدية بهدف مطالبة المرأة العربية بحقوقها مع كل المفاهيم التي يطرحها من شعور المرأة بالدونية كأنها تهز في شجرة عقيم لا تثمر وطرقت الأبواب الخاطئة في طلب الحقوق والمساواة، والتاريخ الثقافى والاجتماعي للمرأة عبر عجلة التاريخ تثبت أن الدين الإسلامي قد أوجد للمرأة مكانة مرموقة في أماكن مختلفة ومنها المرأة الكاتبة، أو المتعلمة، أو من تمتلك أدوات العلم والثقافة والكتابة، فالدراسات النقدية العربية ليست بحاجة إلى ترديد مفاهيم غربية صالحة لمجتمعاتها.

في الختام كلنا أمل في انتظار، دراسات توضح أن الثقافة ليست عدواً للمرأة، وأن هناك حقاً كتابة للمرأة تحتمها طبيعة الجنس، ولكنها لغة صالحة لكتابة الزمن والتاريخ والأدب والعلوم بمختلف تفرعاتها، نحن بحاجة إلى دراسات لا تمتلك نتائج مسبقة عن كتابة المرأة؛ لتضعها في مكانة أقل، أو دراسات لاتدون فقط إلا قهر النساء، أو تبحث من خلال كتاباتها عن حريتها، وإن كان لهذه الكتابات معايير تخضع لها أو خصائص أو منهجية، يكون الجدل حول منهج الكتابة، منهج يعتمد على اللغة والأسلوب، أما أن نطلق

المفاهيم المرتبطة بمفهوم الكتابة الأنثوية بأحكامه الحالية، أو بنتائج المتعلقة بنتائج نسويات ما بعد الحداثة، أو من تأثر بهن، فيظل مفهوم الكتابة الأنثوية لا يمثل توجهاً نقدياً له معاييرها النقدية بقدر ما يحمل تقنيات لها أجندة خاصة عن المرأة بشكل عام، والمرأة العربية بشكل أخص، حينما حاولت بعض الدراسات تبتي مفهوم الكتابة الأنثوية لدى نسويات ما بعد الحداثة دون مساءلة أو مراجعة أو تصحيح، وكان أثر هذا الطرح أكثر وضوحاً ممن تبناوا الحديث عن النسوية في الدراسات العربية، أو ممن اهتم بكتابات المرأة في مصر ولبنان والخليج العربي والسعودية، ولا يمكن أن تطبق تلك التوجهات آراءها على وضع المرأة المسلمة كونها اتسمت بمكانة مرموقة في الدين الإسلامي، ويصبح هناك خلط بين المعايير التي تحكمها النظريات النقدية، والتوجهات التي تعتمد على ممارسات غير منهجية.

الهوامش:

- 1 - انظر ميجان الروبلي، وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، ط2 (بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000م) ص223.
- 2 - تعد سيكسو (المولودة في الجزائر، 1937م) منظرية نسوية، وناقدة أدبية، وروائية، كاتبة مسرحية، وقد عملت هيلين بتدریس الإنجليزية في الجامعات الفرنسية حتى حصلت على دكتوراه الدولة في 1968م عن جيمس جويس وفكرة المنفى، وعُيّنت أستاذة للأدب الإنجليزي في جامعة باريس الثالثة في فينسان، الموجودة الآن في سان دينيس، وقد حازت على جائزة فرنسية في القصة في 1969م. كما أسست المجلة المهمة في النظرية الأدبية والمتخصصة في عرض الكتب والنظريات واسمها الشعرية poetique (مع تودوروف وجنيت). وفي الجامعة المذكورة أسست سيكسو في 1974م مركز أبحاث متخصص في الدراسات النسوية وهي مديرة لهذا المركز. وثمة حلقة بحث للدراسات العليا باسمها في الكلية الدولية للفلسفة. موسوعة النظرية الأدبية المعاصرة: مداخل، باحثون مصطلحات. ماكاريك، إرينار. (مشرفة عامة ومعدة). موسوعة النظرية الأدبية المعاصرة:

Barbara Godard، *مداخل، باحثون، مصطلحات*. والجزء الخاص بسيكو كتيبه الناقدة المعروفة باربرا جودارد Barbara Godard، انظر ص 273-279.

Irena R. Makaryk (General Editor and compiler), *Encyclopedia of contemporary Literary Approaches, scholars, Terms*, Toronto Buffalo London: university of Toronto Press, 1995.

3 - لوس إيغاري، مولودة في بلجيكا حوالي 1934م، منظرّة نسوية، وفيلسوفة، ومحللة نفسية ولغوية، وبعد إكمالها شهادة في الفلسفة والآداب (1954م)، كتبت إريغاري أطروحة في جامعة لوفان Louvain (بلجيكا) عن 'فكرة النقاء عند بول فاليري، الكلمة الصافية، الفكرة الصافية، الشعر الصافي' (1955م)، وتأهلت للتدريس في المدارس الثانوية (1956م). وقد درّست في بروكسل (1956-1959م)، ثم درست للحصول على شهادة في الفلسفة في جامعة باريس (1961م)، مكملة دبلوماً في علم النفس في السنة التالية. وفي 1962م، التحقت بمركز للبحث العلمي البلجيكي، ثم التحقت بمثيله في فرنسا حيث عملت، منذ 1982م، أستاذة أبحاث، ومع حصولها على شهادة الدكتوراه من جامعة باريس، 1968م، تحولت إريغاري إلى علم اللغة، ناشرة أطروحتها بعنوان لغة المجانين *Le Langage des dements* (1973م). ومنذ 1969 إلى 1974، درّست إريغاري في جامعة باريس الثامنة- في فنان حيث انجذبت إلى المدرسة الفرويدية في باريس وعلى رأسها جاك لاكان. انظر مقالة لبربارا جودارد كذلك بعنوان، "إيغاري، لوس"، في الموسوعة المشار إليها في هامش 2 أعلاه، ص 368-373. حصلت لوس إريغاري على دكتوراه الدولة (1974م) وكانت بعنوان منظار المرأة الأخرى *Speculum de l'autre femme*، وقد طورت فيها نقداً نسبياً للتحليل النفسي والفلسفة وأثارت جدلاً حول تداخل السياسة في علم النفس. وقد فقدت إريغاري مكانها في المدرسة الفرويدية، ومنصبها التدريسي، ومع ذلك استمرت في ممارستها للتحليل النفسي. وفي السنوات الأخيرة عملت أستاذة زائرة في عدد من البلاد مثل الولايات المتحدة وكندا وإيطاليا. انظر جودارد، "إيغاري لوس"، ص 368. وتشير سعاد المانع في فقرتها المطولة التي كتبتها عن إريغاري، إلى أطروحتها السابقة (التي ترجمت إلى الإنجليزية ونشرت 1985م)، وتذكر أن إيغاري تقوم فيها بتقويض آراء الفلاسفة الغربيين من أفلاطون حتى فرويد مروراً بديكارت وكانط وهيغل، بأسلوب يعتمد على كثير من تقنيات النقد التقويضي، ومن خبرتها بالتحليل النفسي. وقد حمل هذا الكتاب

نقداً حاداً لنظرية فرويد عن الأنثوية، أبرزت فيه كيف أن خطاب فرويد في هذا المجال كان خاضعاً للتقاليد الفلسفية في الغرب التي تحمل كراهية للمرأة. انظر المانع، "النقد الأدبي النسوي في الغرب"، ص84.

4 - توصف كريستيفا، المولودة في بلغاريا، 1941م، بأنها محللة نفسية، ولغوية، ومتخصصة في السيميوطيقا. وبعد دراستها المبكرة في بلغاريا وامتهانها الصحافة لحقبة قصيرة، هاجرت كريستيفا إلى باريس في 1865م لتدريس لدرجة الدكتوراه تحت إشراف لوسيان جولدمان ورولان بارت في المدرسة العلمية للدراسات العليا. وسرعان ما التحقت بـ 'جماعة تل كيل' (Tel Quel) التي كان يرأسها فيليب سولرز philippe Sollers الذي تزوجت منه فيما بعد)، ومن خلالها أصبحت ناشطة في السياسة الفرنسية اليسارية، بما فيها ثورة الطلاب والعمال في مايو 1968م. وخلال سنواتها الأولى في باريس، نشرت العديد من المقالات في مجلة 'تل كيل'، واشتركت في مجلس تحريرها في 1970م. كذلك بدأت في حضور حلقات البحث التي كان يعقدها منظر التحليل النفسي جاك لاكان. وفي 1973م حصلت على دكتوراه الدولة في باريس عن أطروحة بلغت 620 صفحة، وقد نشرتها في السنة التالية بعنوان ثورة اللغة الشعرية: الطليعة في نهاية القرن 19: لوترمان ومالا رمية (وقد نشرت بالإنجليزية في 1984م). ومنذ 1974م، كانت أستاذة كرسي علم اللغة في جامعة باريس السابعة، بالإضافة إلى توليها بعض المناصب في جامعة كولومبيا في نيويورك. كما كانت تمارس التحليل النفسي منذ 1979م. وتمثل كتاباتها تركيباً معقداً من نظريات المادية وعلم النفس التحليلي في محاولة لتطوير فهم ما بعد بنوي للغة والنفس. انظر في التعريف بكريستيفا مقالة بقلم داووني ماكانس Dawne McCance في الموسوعة المشار إليها في هامش 2 أعلاه، ص394-395. انظر داووني ماكانس، "كريستيفا، جوليا"، ص394.

5 - تعد الميدوزا Medusa إحدى الغرغونات Gorgons الثلاث في الأساطير اليونانية، وهي ثلاث أخوات، مكسوات الرؤوس بالأفاعي بدلاً من الشعر، كان كل من ينظر إليهن يتحول إلى حجر، فالميدوزا إذن امرأة فانية حوّلتها أثينا، إلهة الحكمة، والمهارات العملية، والصراع المتعقل، إلى إحدى الغرغونات، وقد ذبحها في النهاية برسوس perseus، ابن زيوس ودانية، بمساعدة أثينا، وبذلك تم إنقاذ أندروميذا، زوجة برسوس، من وحش بحري. وتقول الأسطورة كذلك إن بيجاسوس وهو فرس

- مجنّح خالد، انبثق من دماء ميدوزا المذبوحة ومكّن بيليفون Bellerophon من إنجاز أعمال مجيدة، من بينها قتل أحد الوحوش كذلك، وذلك بوصفه الفارس الذي كان يركبه. والأسطورة يمكن أن تفسر وتقرأ عدة قراءات في ضوء تاريخ الإنسانية، وخصوصاً تاريخ المرأة، ومن الواضح أن سيكسو كانت على وعي مما يمكن أن يقرأ في الأسطورة ولذلك استعارت منها عنواناً لمقالها الشهيرة. انظر *قاموس المورد* لمنير البعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، 1995م)، وقاموس Collins من تحرير باترك هانكس Patrick Hanks وآخرين، لندن وجلاسجو، 1979م، في أماكن المواد المشار إليها.
- 6 - نقلاً عن رامان سلدن، *النظرية الأدبية المعاصرة*، ترجمة سعيد الغانمي (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1996م)، ص 210. والجدير بالذكر أن ثمة ترجمة عربية أخرى لكتاب سلدن، قام بها جابر عصفور، وأشارت إليها المانع في مقالها، هـ، ص 72.
- 7 - انظر جودارد، "سيكسو، هيلين"، ص 273-274.
- 8 - انظر جودارد، "سيكسو، هيلين"، ص 274.
- 9 - انظر فرانتشيك أوندراش، "البحث عن الذات في الكتابة السردية النسائية"، بحث مقدّم إلى المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي، القاهرة (20-24 نوفمبر 2000م)، ص 6.
- 10 - سعاد المانع، "النقد الأدبي النسوي في الغرب وانعكاسه في النقد العربي المعاصر"، *المجلة العربية للثقافة*، السنة 16، العدد 32، (ذو القعدة 1417هـ - مارس (آذار) 1997م)، ص 83-84 .
- 11 - انظر المانع، "النقد الأدبي النسوي"، ص 83 وهامش 34 من الصفحة نفسها.
- 12 - انظر سلدن، *النظرية الأدبية المعاصرة*، ص 210.
- 13- انظر أوندراش، "البحث عن الذات في الكتابة السردية النسائية"، ص 6.
- 14 - انظر أوندراش، "البحث عن الذات في الكتابة السردية النسائية"، ص 16.
- 15 - انظر أوندراش، "البحث عن الذات في الكتابة السردية النسائية"، ص 16. يشير أوندراش هنا (هامش 2، ص 16) إلى تأثير سيكسو بالخط العربي من خلال خبرتها الشخصية في الجزائر حيث ولدت لأسرة أسيانية ألمانية.
- 16 - انظر أوندراش، "البحث عن الذات في الكتابة السردية النسائية"، ص 16.
- 17 - انظر أوندراش، "البحث عن الذات في الكتابة السردية النسائية" ص 16-17.

- 18 - انظر نورة المساعد، "النسوية: فكرها واتجاهاتها"، ص 45.
- 19 - المانع " النّقد الأدبي النسوي في الغرب"، ص 84.
- 20 - المانع، "النّقد الأدبي النسوي في الغرب"، هـ 36، ص 84 .
- 21 - انظر جودارد، "سيكسو، هيلين"، ص 277- 278.
- 22 - انظر المانع، "النّقد الأدبي النسوي في الغرب"، ص 85.
- 23 - انظر أوندراش، "البحث عن الذات في الكتابة السردية النسائية"، ص 6. وانظر مقالة أخرى عن "النّقد النسوي الفرنسي"، في الموسوعة المشار إليها في هامش 2 أعلاه، بقلم إليزا جيلفاند **Elissa Gelfand**، في فقرة خاصة عن إيغاري، ص 47- 48.
- 24 - انظر المانع، " النّقد الأدبي النسوي في الغرب"، ص 85.
- 25 انظر المانع، " النّقد الأدبي النسوي في الغرب"، ص 85.
- 26 - أوندراش، "البحث عن الذات في الكتابة السردية"، ص 6- 7.
- 27 - انظر جودارد، "إيغاري، لوس"، ص 370- 371.
- 28 - انظر المانع، "النّقد الأدبي النسوي في الغرب"، ص 82.
- 29 - انظر المانع، "النّقد الأدبي النسوي في الغرب"، ص 82.
- 30 - انظر المانع، "النّقد الأدبي النسوي في الغرب"، هـ 31، ص 82، ويتصل الكلام هنا بما ذكرته المانع في الصفحة نفسها، وفي الهامش رقم 30 من أن التأنيث بناء ثقافي وليس طبيعياً، كما أن الشخص لا يولد امرأة ولكن الثقافة تضعه هذا الموضوع، على حد تعبير سيمون دي بوفوار .
- 31 - انظر المانع، " النّقد الأدبي النسوي في الغرب"، ص 82- 83، وهامش 33، ص 83.
- 32 - انظر أوندراش، "البحث عن الذات في الكتابة السردية النسائية"، ص 8.
- 33 - انظر ماكانس، "كريستيفا، جوليا"، ص 395.
- 34 - انظر أوندراش، "البحث عن الذات في الكتابة السردية النسائية"، ص 7.
- 35 - انظر المانع، "النّقد الأدبي النسوي في الغرب"، ص 86.
- 36 - انظر المانع، "النّقد الأدبي النسوي في الغرب"، ص 86- 87.
- 37 - سعاد المانع، "النّقد الأدبي النسوي في الغرب"، ص 74.

- 38 - انظرا لمانع، "النَّقد الأدبي النسوي"، ص74-75.
- 39 - انظرا لمانع، "النَّقد الأدبي النسوي"، ص75-76.
- 40 - انظر المانع، "النَّقد الأدبي النسوي"، ص76-77، وهي تشير في هذا السياق إلى رمان سلدن (ترجمة العصفور)، وكارولين ألين في مقالة لها رداً على شولتر. انظر هامشي رقمي 11 و17 من مقالة المانع.
- 41 - نورة فرج المساعد، "النسوية: فكرها واتجاهاتها"، *المجلة العربية للعلوم الإنسانية*، العدد 71، السنة 18، (يونيو (حزيران) صيف 2000م)، ص11، وانظر ص10.
- 42 - أصدرته دار نشر جامعة كاليفورنيا في (1995م)، ونشر بالعربية عام (2003م) تعريب سمر إبراهيم، دار ومطابع المستقبل بالفجالة والإسكندرية.
- 43 انظر المساعد، "النسوية: فكرها واتجاهاتها"، ص45-49 .
- 44 - انظر فدوى مالطي دوجلاس:
- Fedwa Malti-Douglas, *woman 's Body, woman 's word: Gender and Discourse in Arabo – Islamic writing*, Princeton, New Jersey University press, pp. 24&108.
- 45 - عبد الله محمد الغدامي، المرأة واللغة، ط3 (الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2006م)، ص11.
- 46 - على سبيل التمثيل دراسة الماجستير لكوكب صالح مهدي بعنوان: الخطاب الخاص بالمرأة في القرآن الكريم: دراسة أسلوية.
- 47 - محمد أبو زيد، تغليب الذكر على المؤنث في الخطاب القرآني: دراسة في شبهة تمييز الرجل على المرأة، ملتقى أهل التفسير، (1432/10/27 - 2011/09/25م) على الرابط: <http://vb.tafsir.net/tafsir28376/#post158872>